



سليمانى: مهندس خطوط الدفاع الأولى عن المحور الشهيد اللواء قاسم سليمانى

سيرته النضالية الكفاحية كان يتواجد في الخطوط الأمامية الساخنة في نقاط التماس مع العدو ولا سيما خلال الحرب الكونية على سورية، وتركيزه على تربية القيادات المحلية وغير المحلية، وعمله على كافة المستويات الأمنية العسكرية السياسية والثقافية والاجتماعية.

في فعله وسلوكه. وإذا ما أردنا الاستدلال عليها فالميدان هو الشاهد الأبرز والأكثر تعبيراً عن هذه المآثر التي بدت جلية في ثقل حضوره ليكون الجندي قبل القائد وليخالف تكتيكات كثير من القادة الذي يقتصر عملهم على التوجيه والإرشاد ووضع الخطط، فالشهيد القائد بحسب ما تعكسه

إنَّ الحديث عن شخصية الشهيد القائد قاسم سليمانى تحتاج إلى جيوش من الأقلام المتخصصة في الفكر والسياسة والعسكر، والسبب وراء ذلك أنَّ الشهيد قد جمع الشيء من كل شيء منها، وكذلك الحال بصفاته وأخلاقه الحميدة التي تمثِّل مآثر جليلة حملها في فكره وترجمها

ومن المفيد ذكره أنَّ الإيديولوجيا الفكرية العقائدية للحاج قاسم تُرجمت على المستوى العملي، أي ربط القول بالفعل، وجعل الممكن محققاً، والمحقق مُنجزاً، وبالتالي هذه الإيديولوجيا تشكل بكل مضامينها فهارس كتاب حُطَّ بأحرفٍ من ذهب ونور، وتحتار عند الكتابة عن هذه الشخصية العظيمة من أين تبدأ، من العاطفة الثائرة أم العقلانية الاتزانة، من الاستراتيجية في التكتيك ذاته، أم من التضحية بلا حدود، من الأمانة الكبرى بالشهادة، عن شخصية عبرت القفار بالنعال آيسه عن الروح، شهادة استوطنت القلوب وأخذت من يوم الثالث من كانون الثاني من كل عام بزوغ فجر بلون الدّم المنتصر على سيف القتلة الغادرين، الذين هابوا المنازل وجهاً لوجه فما كان منهم إلا الغدر، وليكن مشهد يد سليمان المقطوعة على أرض المطار في بغداد شاهداً دامعاً على تضحيتِهِ أولاً، وعلى جُبن عدوّه ثانياً.

ولا مناص من ذكر الدور الكبير والهام الذي لعبه الحاج الشهيد في العديد من ساحات المقاومة، هذا الدور الذي شكّل شيفرة العمل المقاوم وكلمته المفتاحية بالمتابعة الدؤوبة والثناء المباشر، ليُعرف بالرجل الأُمّنيّ الأوّل في الشرق الأوسط، دور جعله يتربّع على عرش قلوب المقاومين الذين زادت معرفتهم به بعد شهادته المباركة، ولعلّ من أكثر الساحات التي ظهرت فيها بصمات الشهيد هي الساحة الفلسطينية التي فتحت الأفق واسعاً للمواجهة المباشرة مع الاحتلال الصهيوني، عبر نقل السلاح للمقاومة الفلسطينية وفكرة حفر الأنفاق بطول ٣٦٠ كم في قطاع غزة التي تعود للحاج الشهيد، وطلب إيصال صواريخ الكورنيت لفصائل المقاومة، إضافةً لوجوده الشخصي في غرفة عمليات إدارة حرب تموز إلى جانب السيد حسن نصر الله، والشهيد مغنية، وهو ما صرّح فيه السيّد نصر الله بخطابه في الذكرى السنوية الأولى للاستشهاد، بقوله: "في عدوان تموز ٢٠٠٦

حضر الحاج قاسم سليمان معنا وأصرّ أن يبقى معنا وقال لنا إمّا أن أحيّا معكم أو أموت معكم". ولا يقل الدور أهمية في الساحة السورية منذ اندلاع الحرب الهمجية عليها، حيث كان له دور جوهري في صياغة وهندسة التفاهم الروسي - الإيراني للمشاركة في صدّ هذه الحرب وهو ما عُرفَ "بالاستبصار الإيراني"، ويُعزى له نصر حلب والبوكمال، المعركتين النوعيتين اللتين فتحتا الطريق أمام تفاهات سياسية كان نازها النصر المُحقّق على يد الحاج قاسم والجيش العربي السوري بكل فصولها، يضاف لهذا أيضاً أن الحاج الشهيد هو من هندس خطوط الدفاع الأولى عن دمشق وعلى وجه الخصوص مقام السيدة زينب (ع) عبر العملية المباركة التي أُطلقت، وحملت شعار "لن تُسبى زينب مرّتين" والتي عبّر فيها الشهيد أن الدفاع ليس دفاعاً عن حرمة المقام فقط، بل دفاع عن حرمة الحرم الأكبر وهو الإسلام، ومن المفيد إبراده أن الشهيد كان المسؤول عن ترتيبات اللقاء بين الرئيس الأسد وقائد الثورة السيد علي خامنئي بطهران عام ٢٠١٩، ويطول الحديث عن هذا الدور العظيم والكبير، الذي كان له تبعات على كلّ المنطقة في لبنان من خلال دعم حزب الله، والعراق عبر دحر تنظيم داعش الإرهابي، أي الصخرة التي تتكسر عليها المشاريع الجامحة لتفتيت المنطقة وتوفير عوامل المواجهة والدفاع. ومن نافلة القول أن الشهيد رمز تاريخي كبير سيخلّده التاريخ وتذكره الأجيال وتُذكر به الانتصارات الناجزة المدهشة، وهذا من بديهيات الوفاء لهذا القائد الذي أفنى عمره متنقلاً بين ساحات القتال والمواجهة، أخصاً للمجاهدين وأباً لهم واحد منهم وفيهم، حمل وسام ذو الفقار ألا أنه فاز بوسام الاستحقاق وهو الشهادة بدرجة العلياء التي جعلته لائقاً بالوفود للخالق، وفي سورية تحمل نبراس الوفاء لدم الشهيد سليمان كما الوفاء لدماء شهداء الجيش

العربي السوري الأسطوري، فسلیماني هو شريك الدّم والنصر، كما قال الرئيس بشار الأسد: "سبقي ذكر الشهيد سليمان خالداً في ضمير الشعب السوري الذي لن ينسى سليمان وقوفه إلى جانب الجيش العربي السوري في دفاعه عن سوريا ضد الإرهاب". وتأسيساً على ذلك، إن ذكرى الشهيد قاسم سليمان وأبو مهدي المهندس لا تدعو للحن وولوج الألم بقدر ما تدعو للفرح لسببين اثنين واضحين، الأول هو أن محور المقاومة ولداً يلد يومياً وفي كلّ لحظة سليمانياً ومهندساً، والثاني أنهم حققوا أمنيّتهم وهي الشهادة التي لطالما رغبوا فيها.

وفي معرض هذا الذكرى التي تتجدد دوماً حريّ بنا القول:

إنّ الحاج قاسم سليمان هو وبحق سيّد شهداء محور المقاومة، وأنّ شهادة ميادين القتال له نقطة مضيئة في التاريخ، ودماؤه ستُرسّم حدود الجغرافية التي لطالما رغب وحضى في سبيل تحريرها ونصرتها. حاج قاسم، ستبقى أنفاق غزة تذكرك، وسبقى أثر لمسات يديك على صواريخ مقاومتها منطبّع.

حاج قاسم، سيبقى صوت صواريخ المقاومة يعزف لنا أناشيد النصر الأكيد، وينخر في قلوب العدو رعباً وخوفاً. حاج قاسم، ستبقى دمشق التي هندست خطوط دفاعها الأولى، وكذلك حلب والقصير والبوكمال لك وفيّة ذاكرةً لعظيم تضحياتك.

حاج قاسم، ستبقى من ظلّت عيناك تشداه على وعدٍ وموعِدٍ من النصر، القدس التي غدت قبلتك.

حاج قاسم، سيبقى أوّل ما يتبادر إلى أذهاننا عند سماع اسمك، فلسطين. حاج قاسم، ستبقى في صفحات التاريخ مُخلّداً، وفي ضمائرنا حيّاً لا تموت.

حاج قاسم، ستبقى شهيد القدس.

المصدر: موقع الخنادق